تطوّر اللغة في العصر العباسي (١)

أرى قبل الشروع في الكلام على تطوّر اللغة في عصر بني العبّاس أن نتّفق على معنى التطور وهذه اللفظة من الألفاظ التي أحدثها عصرنا ، ومعناها على ما أعتقد تتابع الصيغ أو الأشكال التي انتقلت الألفاظ بموجبها من وجهٍ إلى وجه ، فإذا كان هذا هو معنى تطور اللغة فاللغة قد انتقلت على ترادف السنين من شكل إلى شكل ، ولا يزال هذا الانتقال يستمرّ في عصرنا ، وإذا كنّا نعجب من الوقوف على مظاهر تطورها فقد يكون عجبنا أشدّ من دلالة هذه المظاهر على نموّ اللغة ، على استعدادها للحياة

(١) ألقى الأستاذ شفيق جبري عضو مجمع اللغة العربية بدمشق خمس محاضرات في جامعة الكويت في شهر آذار الماضي ، وهذا هو القسم الأول من المحاضرة الأولى : تطوّر اللغة في العصر العباسي .

مهما يباغتها من الأمور ، لقد جاءت ببراهين قاطعة على أنها أهل للحياة ، فلم تمنعها الموانع من تتبع مجرى هذه الحياة في كل عصرٍ من عصورها ، في الجاهلية والإسلام ، في زمن بني أميَّة وبني العبّاس ، حتى في عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، وهذا موطن من مواطن افتخارنا بلغة العرب .

وإني لأرجو أن لا تكون دراستنا لتطوّر اللغة في زمن بني العبّاس أو في أيّ زمنٍ مجرّد دراسة لانتقال الألفاظ من وجهٍ إلى وجه ، أو لإحياء ألفاظ وموت ألفاظ ، أو لغير ذلك من الأساليب التي تدلّ على تطور اللغة ، فما الذي يمنعنا من أن نرى وراء هذا التطور تطوّر أمةٍ بأجمعها ، إني لا أستطيع أن أقرأ مثلاً فصول الموسيقى في كتاب مفاتيح العلوم الذي سأشير إليه ، ولا أن أطلع على ما احتوته هذه الفصول من آلات الموسيقى عند العرب كالصَّنْج والطنبور والرّباب والمِعْزفة والعود وغير ذلك من الآلات ، ولا أستطيع أن أقف على ما عرّفه العرب من ألفاظ النغمات والألحان والإيقاعات والنقرات ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كله وعلى أمثاله من الأمور الداخلة في الموسيقى إلاّ تصورت الأمة التي مالت إلى هذا الفن وتصوّرت بعدها قصور الخلفاء الذين شغفوا بهذا الفن شغفاً لا تحضرني عبارة لوصفه أو لوصف ما أدّى إليه هذا الشغف من الإفراط في إكرام المغنين والقيان مما جاء ذكره في كتاب الأغاني ، إني لا أستطيع أن أقف على هذا كلّه إلاّ تصوّرت حضارة العصر الذي استفاضت فيه الموسيقى وغيرها من الفنون والعلوم ، فلست أدرس تطوّر اللغة للاطلاع على تغيّرات صيغها وأشكالها وأكتفي بهذا الاطلاع ، وإنما أدرس هذا التطوّر لأن وراءه حضارة أفصحت عنها اللغة وتطوّرها .

فلنشرع بعد هذه المقدمة في موضوعنا .

في رأي « دوزي » صاحب المعجم المشهور أن لغة العرب ، وهو يعني بذلك لغة الشعر القديم والقرآن والسنّة لم يطل عهدها أكثر من قرنين على التقريب ، ثم ماذا حدث بعد ذلك ، لقد طرأ على اللغة من آخر القرن الأول الهجري تغيير عظيم ، إلى أي شيء أدّى هذا التغيير ، لقد أدّى إلى غناها ونموّها ، وهذه نتيجة لا مندوحة عنها ، إنها نتيجة الانتصارات السريعة الخارقة التي انتصرها العرب بعد الرسول ﷺ ، لقد خالط العرب بعد تلك الانتصارات شعوباً شتّى غلبوا عليها ، فتفوهت تلك الشعوب بلسان الفاتحين وإن كانت تلحَن في كلامها ، لقد كان لتلك المخالطة أثر في العرب أنفسهم فاختلّ النحو على ألسنتهم واستعملوا ألفاظاً قلبوا وجوه معانيها واقتبسوا كثيراً من التعابير من لغات الأمم المغلوبة ، أهل الشام والفرس والقبط والبربر والإسبان والترك .

على أن مخالطة الأعاجم لم تكن السبب الأوحد ولا كانت السبب الأعظم في فساد اللغة ، فقد وجد الفاتحون أنفسَهم في حالةٍ حديثةٍ لا عهد لهم بمثلها ، فسواء أكانوا أهل بدوٍ أم كانوا أهل حضر يقيمون بمدن صغيرة ويعيشون عيشة بسيطة ، إنهم نُقلوا فجأة من عالم إلى عالم ، نقلوا إلى عالمٍ كل شيء فيه كان جديداً بالنسبة إليهم ، نقلوا إلى مدن كبيرة يشيع فيها البَذَخ والترف وتستفيض فيها حضارات قديمة ، حضارات الرومان والفرس ، وممّا زاد في شرفهم أنهم نشطوا لدراسة الفنون والعلوم التي لم يكن لهم عهد بها ، فحدث بعد هذا أن انقلبت أفكارهم وأخلاقهم كلّ منقلب ، فأصاب اللغة ما أصابهم ، فقد انتقلت من بيئة البداوة إلى بيئة الحضارة المصقولة ، فافتقرت من جهة وغنيت من جهة ثانيةٍ ، كيف افتقرت ، لقد سقط كثير من فيض الألفاظ التي كانت تضايق لغة الأدب ، سقط ما يقرب من ثلث اللغة ، سقطت الألفاظ التي كانت تعبّر عن حالات بدوية ، ولم يكن كثير




منها يستعمل استعمالاً عاماً في أي عصر من العصور ، ولئن سقطت تلك الألفاظ لقد اعتاضت عنها اللغة ألفاظاً جديدة تعبّر عن أشياء وعن أفكار كانت مجهولة ، فقلب العرب بفضل عبقرية لغتهم معاني ألفاظٍ من وجه إلى وجه .

لقد حدث هذا الانقلاب في كل الأقاليم التي غلب عليها العرب ، ولكن الانقلاب كان على درجات متفاوتة ، وممّا أعان على التعجيل في خلق اللغات المختلفة ترامي أطراف الدولة ، فكل ناحية من هذه الأطراف كان لها لغة خاصة .

ولم يسع المحافظين من رجال اللغة أن يشهدوا مثل هذا الأمر دون الاعتراض ، لم يسع المحافظين على صفاء اللغة من رجال النحو والشرع والفقه أن يُغْمِضوا على مثل هذا الأمر ، فكأنهم لم يحيطوا بطبيعة الأشياء ، ولا أدركوا أن كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير ، ولا سيَّما اللغات التي تتغيّر بتغيّر الأفكار ، إنها مرتبطة بالجماعات التي تنطق بها وبالكتّاب الذين يستخدمونها ، وفي رأي « دوزي » ان أولئك الرجال ، رجال اللغة كانوا يريدون أن يجعلوا لغتهم جامدة لا تتحرك ، فهم أعداء كل توليد ، على أن « دوزي » قد اعترف بأن مجهودات علماء اللغة لم تكن باطلة ، فبفضلهم وبفضل دراسة القرآن لم تتشعب العربية ، فلم تتولد عنها لغات ثانية كما تولّد عن اللغة اللاتينية ، إلاّ أنهم مع هذا كله لم يستطيعوا أن يسدّوا طبيعة مجرى الأمور ، فقد كان من الكتّاب من يستعمل اللغة العامّة ، وقد ضرب « دوزي » مثلاً لذلك الرحّالة المقدسي الذي عاش في القرن العاشر الميلادي ، فقد اضطر من أجل المحافظة على ما يسمّونه : اللون المحلّي إلى أن يستخدم في وصف كل إقليم من الأقاليم التي زارها لغة ذلك الإقليم .

فالذي يهمنا من كل ما جاء في هذه المقدمة الصادقة في أكثر محتوياتها إنما هو قول صاحبها : كل شيء في هذا العالم عرضة للتغيير ، ولا سيّما اللغات التي تتغير بتغير الأفكار .

فلننظر في هذه التغيرات ، مظاهر تطوّر لغتنا مختلفة ، فإمّا أن تتغير معاني ألفاظها القديمة ، فتنقل هذه المعاني من أفق إلى أفق وإمّا أن تحدث ألفاظ جديدة بأسلوب من الأساليب ، بالتعريب والتوليد مثلاً ، وإمّا أن تموت ألفاظ لم تبق حاجة إليها .

نبدأ بالمظهر الأول ، بالتغير الخطير ، وأعني به مجيء الإسلام وما أفضى إليه هذا المجيء من تطور اللغة ، فلنستمن بإمام من أئمة اللغة ، فلنسمع ما قاله ابن فارس في فقه اللغة :

« كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأُبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أُخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت ، فعفّى الآخر الأوّل ، فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق ، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمّي للمؤمن بالإطلاق مؤمناً ، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلاّ الغطاء والستر ، فأمّا المنافق فاسم جاء به الإسلام لقومٍ أبطنوا غير ما أظهروا ، وكان الأصل من نافقاء اليَرْبوع ، ولم يعرفوا في الفسق إلاّ قولهم : فسقت الرُطَبة إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأنّ الفسق الإفحاش في الخروجِ عن طاعة الله تعالى ،




ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء ، وكذلك الصيام وأصله عندهم الإمساك ، ثم زادت الشريعة النيَّة وحظرت الأكل والمباشرة وغيرها من شرائع الصوم ، وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم غير القصد ، ثم زادت الشريعة ما زادت من شرائط الحج وشعائره ، وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلاّ من ناحية النماء ، وزاد الشرع فيها ما زاد ، وعلى هذا سائر أبواب الفقه ، فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول فيه اسمان : لغوي وشرعي ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء به الإسلام وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان : لغوي وصناعي . »

ما الذي نستنتجه من كلام ابن فارس ، إننا نستنتج من هذا الكلام أن الإسلام لمَّا جاء جاء بأفكار جديدة لا عهد للعرب بها ، ولا بدَّ لهذه الأفكار من ألفاظ تعرب عنها ، فإذا لم تكن الألفاظ بقيت الأفكار مطويَّة في ذهن صاحبها ، إلاّ أن هذه الأفكار لم تكن مطوية في الذهن ، فقد وجدت لها ألفاظاً تفصح عنها وتثبتها في الأذهان ، كيف وجدت هذه الألفاظ ، إنها لم تخترع اختراعاً ، فلم تعرَّب ولم تولَّد ، وإنما نقلت معاني ألفاظ قديمة من وجه قديم إلى وجه حديث ، فعبَّرت عن الدين الجديد هذه الألفاظ المنقولة ، عبَّرت عن كل ما يشتمل عليه هذا الدين من صلاةٍ وصوم وزكاة وحجّ وغير ذلك من الأفكار الإسلامية .

ولم تتغير معاني الألفاظ الإسلامية وحدها وإنما تغيَّرت أيضاً معاني أسماء الأيام ، فالسبت في الجاهلية : شيار ، والأحد : أول ، والاثنين : أهون وأوهد ، والثلاثاء : جُبار ، والأربعاء : دُبار ، والخميس : مؤنس ، والجمعة : عَروبة .

وكما تغيَّرت معاني أسماء الأيّام فقد تغيَّرت معاني أسماء الشهور ، فالمحرّم في الجاهلية : المؤتمر ، وصفر : ناجر ، وربيع الأول : خَوّان ، وربيع

الآخر : وَبْصان ، وجُمادى الأولى : الحَنين ، وجُمادى الآخرة : رُبّى ، ورجب : الأصم ، وشعبان : العاذل ، ورمضان : ناتق ، وشوّال : وعْل ، وذو القعدة : وَرْنَة ، وذو الحِجة : بُرَك .

وهذا باب طويل لم ندخل منه إلاّ للدلالة على تطوّر اللغة ، فالمهمّ أن نعرف أن اللغة لا تثبت على حال من الأحوال ، فاذا عرضت أفكار جديدة تستلزم أسماءً جديدة وجب على اللغة أن تضع لما يستحدث من المسمّيات أسماء مستحدثة ، على نحو ما هو معروف في الألفاظ الإسلامية ، وإذا عجزت اللغة عن إحداث أسماء لمسمَّيات بقيت المسمَّيات في أذهان أصحابها ميّتة لا يجدون سبيلاً إلى التعبير عنها ، وتعرف مرونة اللغة بهذا التصرف الذي يتصرفه علماؤها في الاهتداء إلى التعبير عن الأفكار الحديثة .

وإذا كنّا نشير إلى تطور اللغة بنقل معاني ألفاظ عن مواضع إلى مواضع ، فلا بأس بأن نذكر في هذا المقام أن من الألفاظ ما وضع في الأصل خاصاً ثم استعمل عاماً ، أي من الألفاظ ما ينقل من معناه الخاص إلى معنى عام من ذلك مثلاً : الوِرْد إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء وِرْداً ، والقَرَب : طلب الماء ثم صار يقال قَرَب لكل طلب والنُّجْعة أصلها : طلب الغيث ثم صار كل طلب انتجاعاً ، والأمثلة كثيرة .

وعلى خلاف الأمر فقد يوضع اللفظ عاماً ويستعمل خاصاً ، فالبغض عام والفِرْك فيما بين الزوجين خاص والتشهي عام والوَحَم للحُبْلى خاص .

غير أن هذا الباب يدخل في أبواب اللغـــة وقد مررنا به مروراً ، فلنستمر في موضوعنا .





ولم يكن تطور اللغة في الألفاظ الإسلامية وحدها ، وإنما كان هذا شأنها في العلوم التي حدثت بعد الإسلام كالنحو والعروض والشعر ، فاذا رجعنا إلى النحو مثلاً وجدنا فيه ألفاظاً نقلت معانيها من مواضع إلى مواضع ، لنرجع مرّة ثانية إلى ابن فارس ، قال : وزعم قوم أن العرب العاربة لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً ، والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب ، قيل له : أتهمز إسرائيل ، فقال : إني إذن لرجل سَوْءٍ : وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلاّ الضغط والعصر ، وقيل لآخر : أتجرّ فلسطين ، فقال : إني إذن لقوي !

على أي شيء يدلّنا كلام ابن فارس ، انه يدلّنا على أنّ بعض الألفاظ كانت لها معانٍ محدّدة فلما استحدث العرب علم النحو اضطروا إلى استحداث ألفاظ لكل باب من أبوابه كالهمز والجرّ والرفع والنصب وغيرها ، فنقلوا معاني ألفاظٍ من مواضع إلى مواضع ، واصطلحوا على المعاني المنقولة ، والخلاصة ان كثيراً من الألفاظ نقلت من أصلها اللغوي إلى أصل جديد طبقاً للتطور ، مثل الألفاظ الإسلامية أو ألفاظ النحو والعروض كالمديد والطويل وغيرها .

وقد نجد مثل هذا التصرف في فنون الحضارة وعلومها التي حدثت بعد الإسلام ، وما أظن أنّا نستطيع أن ندرك ما عملته اللغة بعد ظهور الإسلام ولا سيّما في عصر بني العبّاس إلاّ إذا أطلعنا على الألفاظ التي وضعها العلماء لعلومهم ، فإذا تعدّينا صدر الإسلام ووصلنا إلى عصر بني العبّاس وقفنا على ألفاظ في الفنون والعلوم لا يحصيها الإحصاء ، وإذا دلّتنا هذه




الألفاظ على شيء فإنها تدلّنـا قبل كل شيء على مرونة اللغـــة كما قلت فضلاً عن استعدادها للإفصاح عمّا يفاجئها من الأفكار والمذاهب ، إلاّ أن الكلام المجرّد لا يوضح الفكرة التي نعنيها، فلا بدّ من الاستشهاد حتى نرى بأعيننا قوة لغتنا ، وإني أعتقد أنّ كتاب : مفاتيح العلوم للخوارزمي يوضّح لنا أكمل توضيح ما نريد ، وأرى أن الإشارة إلى فقرة مما ورد في مقدمة الكتاب تعلمنا بمحتويات هذا الكتاب الجامع لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات ، المتضمن ما بين كل طبقة من العلماء من المواضعات والاصطلاحات التي خلت منها أو من جلّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة .

فهذه الإشارة تبيّن لنا الأفق المديد الذي اشتمل عليه كتاب مفاتيح العلوم ، وأريد بهذا الأفق الألفاظ التي اصطلح عليها العلماء في علومهم .

وقد أحب المؤلف أن يستشهد في مقدمته بثلاثة ألفاظ من باب ضرب المثل فقال :

ومثال هذه المواضعات لفظة الرّجْعة فانها عند أصحـاب اللغـة المرّة الواحدة من الرجوع لا يكادون يعرفون غيرها ، وهي عند الفقهاء الرجوع في الطلاق الذي ليس ببائن ، وعند المتكلمين ما يزعمـه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته ، إلى غـير معاني هذه اللفظـــة عند الكتاب والمنجّمين .

ولفظة الفك فإنها عند أصحاب اللغة والفقهـاء مصدر فك الأسير أو الرهن أو الرّقبة ، وأحد الفكين وهما اللّحْيان ، وعند أصحاب العروض إخراج جنس من الشعر من جنس آخر تجمعها دائرة ، وعند الكتّـاب تصحيح اسم المرتزق في الجريدة بعد أن كان وضع عنها .

ولفظة الوتد عند اللغويين والمفسّرين أحد أوتاد البيت أو الجبل من قوله تعالى : « والجبالَ أوتادا » ، وعند أصحاب العَروض ثلاثة أحرف اثنان متحركان وثالث ساكن ، وعند المنجّمين أحد الأوتاد الأربعة التي هي الطالع والغارب ووسط السماء ووتد الأرض .

إلاّ أن هذا الاستشهاد المختصر لايشفي الغليل ، فهو لا شيء إذا قيس بالألفاظ المستحدثه التي تضمّنها كتاب مفاتيح العلوم ، على أنه لا سبيل إلى الإتيان على ذكر كل هذه الألفاظ ، وحسبنا أن نعرف أن المؤلف جعل كتابه مقالتين : إحداهما لعلوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية ، والثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم .

وإذا رجعنا إلى فهرست أبواب الكتاب وفصوله وجدناه طويلاً ، ولذلك فإننا نكتفي بذكر بعض العلوم التي أشار إليها المؤلف وذكر ألفاظها المستحدثة التي لكل واحدٍ منها معنيان : معنى لغوي في الأصل ، ومعنى اصطلح عليه علماء كل علم .

لقد أشار الخوارزمي في كتابه إلى أبواب كثيرة ، إلى الفقه ، وعلم الأصول ، وعلم الكلام ، كما أشار إلى النحو والعروض والفلسفة والمنطق والايضاح والخطابة والشعر والطب والتشريح والحساب والهندسة والجبر والمقابلة والفلك والموسيقى وجرّ الأثقال والكيمياء ، وإلى أبواب كثيرة غير التي ذكرتها .

فكيف تكون حالة العلوم في زمن بني العبّاس لولا اجتهاد العلماء في التصرف في اللغة ومفرداتها ، كيفِ تكون حالة هذه العلوم لو عجزت اللغة عن





وضع ألفاظ لها تدرك بها أسرارها ، كيف تستفيض هذه العلوم في عصر ظهورها وكيف نصل إلينا بعد ظهورها لولا هذه الألفاظ المستحدثة التي وضّحتها وفصّلتها ، ولماذا لا أقول صوّرتها للعقول تصويراً .

إني لا أرى سبيلاً إلى ذكر ألفاظ كل علمٍ على حدة ، فهذا أمر لا يستوعبه إلاّ معجم ، لقد ألفنا ألفاظ النحو والعَروض والشرع والفقه فلا حاجة بنا إلى تكرارها ، ولكن ما عسانا أن نقول في ألفاظ الجبر والهندسة مثلاً ، فالهندسة كلمة فارسية وأصلها : اندازه ، أي المقادير ، قال الخليل : المهندس الذي يقدّر مجاري القُنِيّ ومواضعها حيث تحتفر ، وهو مشتق من الهندزة وهي فارسية ، فصُيّرت الزاي سيناً في الإعراب ، لأنه ليس بعد الدال زاي في كلام العرب ، فلما دخلت الهندسة في علوم العرب وأصلها باليونانية : جومطريا ، لم تألف أذواق العرب هذه اللفظة فوضعوا لها اسماً وسمّوها : هندسة ، فلم يقفوا عند عقبة تعترضهم ، ثم دخلوا في تفاصيل هذا العلم فوضعوا ألفاظ الخطوط والبسائط والمجسّمات ، وقسموا كل خط أقساماً فقالوا : مستقيم ومقوّس ومنحنٍ وقالوا : خطوط متوازية وخطوط متلاقية ثم قالوا : زوايا مسطّحة ومجسّمة ، ثم قالوا : زاوية قائمة ومنفرجة وحادّة ، ثم قالوا : المحيط والقوس والأضلاع ثم قالوا : القاعدة والقطر والعمود والقوس والسهم .

وهذا باب لا نهاية له إذا تبسّطنا فيه ، ولكنّا لم نجد لنا مندوحة عن ذكر بعض الألفاظ المستحدثة حتى نعرف تطور اللغة في زمن بني العبّاس ، وإذا قابلنا بين هذا العصر الذي ظهرت فيه العلوم ووضعت لهذه العلوم الألفاظ التي تحتاج إليها وبين عصر الجاهلية أو عصر صدر الإسلام استطعنا





أن ندرك تطور اللغة الإدراك كلّه ، واستطعنا أن نحيط بعظمة هذه اللغة ، فاللغة الغنيّة ، اللغة العظيمة هي التي لا تعجز عن استيعاب ما يدخلها من العلوم والمذاهب والأفكار ، هي التي تستطيع أن تضع لهذه العلوم ولهذه المذاهب ولهذه الأفكار ما يلزمها من الألفاظ وهذا ما فعلته اللغة في زمن بني العباس ، وهذا الدليل الواضح على تطوّرها .

واذا كنّا نُعنى بتطور اللغة على أيّام بني العبّاس فاننا لا نستغني عن الرجوع إلى كتاب الأغاني الذي وردت فيه ألفاظ كثيرة تدلّ على المراكب والملابس والمآكل وغير ذلك مما أحدثته حضارة العصر ، فقد استفادوا من ألفاظ موضوعة وتصرفوا فيها بعض التصرف فأطلقوها على مسمّيات مما اقتضته الحاجة ، وإني لا أتوسّع في الاستشهاد ، وإنما أقتصر على أمثلة بسيطة ، من هذا القبيل مثلاً لفظة الرطلية ، ولا شك في أن معناها الإناء الذي يسع رطلاً من النبيذ ونحوه ، وهكذا نجد أنهم اشتقوا من لفظة الرطل لفظة الرطلية التى تسع هذا الرطل وهي أدق من الإناء أو الوعاء ، فالإناء عام والرطلية خاصة ، والتخصيص من شروط الدقة في مفردات اللغة .

ومن هذا الشكل لفظة العرسيات ، وهم يريدون بذلك الطعام الذي يصنع في الأعراس ، فكلما استفحلت عندهم مذاهب الحضارة واتسمت الحياة الاجتماعية استطاعوا أن يخلقوا لهذه الحياة ما يناسبها من الألفاظ الدالة عليها .

وقد استشهد المرحوم الأستاذ أحمد أمين بلفظة : ندّر الرجل وتندّر إذا جاء بالنادرة وندّر بفلان وتنادر عليه إذا جعله موضع نادرته . وهذه المادّة من مستحدثات اللغة في العصر العبّاسي ، وردت في كتاب الأغاني .

وقد ذهبوا مذاهب أبعد فاشتقوا من الأسماء صيغاً تدلّ على التشبه بأصحاب هذه الأسماء ، سواء أكانت أعلاماً أم كانت أسماء مدنٍ أو حيوان ، من قبائل العرب قبيلة اسمها اللهازم وردت في شعر الفرزدق ، فقالوا : تلهزم فلان إذا دخل في هذه القبيلة أو تشبّه بأهلها وكذلك اشتقوا من اسم معبد المغني فعلاً فقالوا : هذا صوت تمعبد فيه ابن سريج ، أي تشبه بمعبد في الغناء ، ووضعوا لفظة البرمكة المشتقة من بَرْمك جدّ يحيي بن خالد البرمكي .

أمّا البلدان فقالوا : تبغدد فلان إذا انتسب إلى بغداد أو تشبه بأهلها . وأمّا الحيوان فقد نجد في الأغاني فعل : تقنفذ ، إذا تشبه بالقنفذ في مشيته .

(للبحث تتمة) شفيق جبري

❋❋❋



